الفصل الأول

مدخـــل إلى علم السياحة

أولا: العلم ومفاهيمه

١- العلم Science

يواجه تعريف العلم صعوبات كثيرة لانه لم يتخذ معناه الاصطلاحى ويصبح مهنة، وعملا يحترفه البعض ويتخصص فيع الا مند زمن قريب.

فالعلم ظهر أول الأمر بسيطا بدائيا ثم أخذ يتطور وينمر وتتسع أفاقه وتتعاظم قدراته ببطء شديد ولكن ما أن وصل إلى مرحلة من النضج حتى تهيأ للانطلاق، حتى أصبح هو نفسه المهد الأول لذات بقائه.

فقد توزعت ممارساته من قبل بين مختلف أنواع النشاط الانسانى، العملية والعقلية، ولم يظهر فى صورته النقية الحديثة الا منذ ما يقرب أربعة قرون، غير أن ميلاده الفعلى يرجع إلى قبل ذلك بقرون بعيدة.

فان كلمة علم ليس المقصود بها علماً محدداً بالذات، أنما هى لفظ كلى يقصد منه أى علم من العلوم طبيعياً كان أو رياضياً أو غير ذلك. فالعلم بوصفه لفظا كلياً شأنه شأن كلمة «إنسان» التى لا تدل على موضوع أو فرد من بنى البشر.

فان هناك مراحل يمر بها العلم، أو ربما نقول - بشئ من الواقعية - إنها المراحل التى تتواجد دائما خلال تقدم العلم . وهى على النحو التالى:

١- تعريف العلم ، وتحديد الظاهرات التى تتدرج تحت هذا العلم.

٢- مرحلة الملاحظة، وتحديد المتغيرات والعوامل، والمصطلحات المرتبطة بهذا العلم. حيث تعتبر هذه المرحلة غير معقدة نسبيا، فيقوم الباحث بالملاحظة وتدوين الحقائق.

٣- بداية بناء النظريات، التى تنتج من البحث فى العلاقات بين المتغيرات. فهى مرحلة إضافة أكثر تقدماً - وحنكة - حيث تمتد محاولات الباحث لإيجاد العلاقات بين المتغيرات فى إطار غير متقن لنظريات بدائية ناقصة.

٤- الانتقال من مرحلة الترابط بين المتغيرات إلى مرحلة السببية، فهى أكثر المراحل دقة

وتقدماً، وهى المرحلة التى يربط كثيرون بينها وبين الطريقة العلمية، بهدف التوصل إلى علاقة سببية، من خلال التحكم فى المتغيرات وضبطها.

٥- بإتمام المراحل السابقة .. يصل العلم إلى أن تصبح له مجموعة النظريات الراسخة والقوانين المنظمة.

٦- استخدام النظريات والقوانين التى تم الوصل إليها فى حل مشكلات، أو فى تكوين فروض جديدة تنمى هذا العلم.

س . اذاً ماذا يكون العلم؟

للاجابة عن هذا السؤال يجدر بنا أن نفرق بداية بين مفهومين اثنين هما المعرفة .. والعلم..

س . هل كل معرفة علم؟

أن المعرفة تمثل كل ما يصل إلى ذهن الفرد من معلومات مختلفة عما يدور حوله من ظاهرات سواء كانت طبيعية أو اجتماعية.. الخ. بغض النظر عن كون هذه المعلومات صادقة أو غير صادقة. وتعد الحاجة إلى المعرفة حاجة اساسية لدى الانسان. حيث اعتاد العقل البشرى على البحث عن العلل أو الاسباب الأولى للأشياء أو الظواهر التى تحدث من حوله.. وذلك فى محاولة منه لفهم هذه الظواهر ومحاولة تفسيرها.

قام الانسان فى بداية حياته بمحاولات لفهم الطبيعة التى يعيش حولها، فهو على سبيل المثال ارجع حدوث الظاهرات الطبيعية (كالمطر أو الرعد أو الريح أو حتى شروق الشمس وغروبها) إلى وجود آرواح خاصة بكل منها كما ذهب قدماء المصريين فى تفسيرهم لظاهرة انتقال الشمس الظاهرى (الشروق - الغروب) إلى الاله (رع) الذى كان يسافر كل يوم فى رحلته فى قارب يسبح فى نهر، وقد يحدث أن يهجم على الزورق الالهى حينما بعد حين ثعبات ضخم فيبتلعه فى جوفه، ولكن الذورق يعود إلى الظهور من جديد.

وليست أوجه هذه المعرفة غير العلمية والخرافية.. قاصرة على الانسان البدائى، بل أن مثل هذه الأنواع من المعرفة لازال قائما حتى الان ونحن على أبواب القرن الواحد

والعشرين وأن اتخذ اشكالا أخرى ومن الأمثلة التى توضح بعض هذه المظاهر بعض المعتقدات الشعبية (الزار).

ونجد من يمتلك عربة فاخرة حديثه الصنع ويضع فيها رموزاً معينة درءا للحسد، أو نجد أسرة يضم أثاث بيتها أحدثه من ثلاجة وتليفزيون وتليفون.. الخ، وفى يوم معين .. فى ساعة معينة.. تطلق هذه الاسرة البخور فى أنحاء المكان لأسباب تتعلق بالشفاء من مرض أو الوقاية من مرض أو بالخشية من الحسد.. الخ، أو نجد جريدة يومية أو مجلة أسبوعية تستخدم أحدث آلات الطباعة ويتضمن بعض موضوعاتها موضوع «بختك اليوم» أو نجد شاشة التليفزيون تعرض برنامجاً عن قراءة الكف أو الفنجان أو حساب النجوم.. وهى ظاهرة ثقافية توجد فى كثير من المجتمعات التى تنتمى إلى مستويات مختلفة من التطور الاجتماعى والثقافى.

ونستطيع أن نقرر أن هذا النوع من المعرفة لم يحقق الهدف الذى سعى الانسان إلى تحقيقه وهو محاولته فى السيطرة على الطبيعة فعلى الكعس من ذلك.. فهو بتفكيره الخرافى هذا أسلم نفسه للطبيعة لكى تتحكم فيه.

وهذا النوع من المعرفة هو ما يطلق عليها المعرفة غير العلمية أو المعرفة الخرافية. أما النوع الآخر من المعرفة - فهى المعروفة بالمعرفة العلمية، وقد وجدت المعرفة العلمية بعد أن تخلى الانسان عن نظرته الميتافيزيقية للطبيعة وأصبح اتجاهه هو الخروج إلى الطبيعة لملاحظتها ملاحظة موضوعية مع محاولة اخضاعها للدراسة العلمية التجريبية فى كثير من الأحيان.. فى محاولة لفهم الظواهر المحيطة به سواء فى ذاتها أو فى علاقتها بغيرها من الظواهر وصولا إلى القانون العام الذى يحكم هذه الظاهرة ويفسرها وبذلك يتحقق للانسان أول شروط العلم وهو المفهوم الموضوعى للظاهرة ومحاولة تفسيرها.

اذا كانت هذه أوجه المعرفة ... فترى ماذا يكون العلم؟

هناك العديد من التعاريف التى حاول البعض تحديد المقصود بالعلم من خلالها... نذكر منها «يعرف كروثر».. العلم بانه (نظام يسيطر به الانسان على الطبيعة).

كما يذهب جوليات هكسلى Ju lliantiuxely فيعرفه بأنه (ذلك النشاط الذى نحصل به على قدر كبير من المعرفة بحقائق الطبيعة وعلى السيطرة عليها.(١)

أما «روز نتال ويودين» Rosental, yodin حيث يعرفان العلم فى قاموسهما بأنه العلم شكل من أشكال الوعى الاجتماعى الذى يمثل نسقاً متطوراً تاريخياً للمعرفة التى يتحقق صدقها ويزداد احكامها باستمرار من خلال خبرة المجتمع العلمية وتكمن قوة المعرفة العلمية فى طابعها العام، وشموليتها وضروريتها وصدقها الموضوعى (٢)

ويقول (برنال) أن العلم بوصفه أنبل زهرة للعقل الانسانى وأعظم نبع واعد بالمآثر المادية، له صورتان:

الصورة الاولى «مثالية» يبدو فيها العلم معنيا لكشف الحقيقة وتأملها، ومهمته أن يبنى صورة عقلية للعلم تلائم وقائع الخبرة..

والصورة الثانية «واقعية» تسود فيها المنفعة وتتعين فيها الحقيقة وسيلة للعمل النافع، ولا تختبر صحتها الا بمقتضى ذلك الفعل المثمر.

ويختلف الباحثون فيما يفرق العلم عن غيره. فهو عند البعض مجموعة منظمة من المعارف تدور حول موضوعات بعينها، وتصل فيما بينها مجالات معنية من الدراسة. بينما هو عند البعض الآخر منهج واسلوب لا يختلف اصطناعه فى مجال دون آخر. لذلك يتحدد العلم أو يعرف عند الفريق الأول بمادة البحث، على حين يتحدد لدى الفريق الآخر بمنهج البحث.

وبعبارة أخرى (جيمس كونانت) هناك تعريفان للعلم أحدهما استاتيكى والاخر ديناميكى.

فأما التعريف الاستاتيكى فهو الذى يضع فى موضع الصدارة المجموعة المتشابكة من المبادئ والقوانين النظريات، وكذلك المجموعة الهائلة من المعلومات المنسقة، وكأن العلم بذلك عرض شارح للكون الذى نحيا فيه، أو لبعض جوانبه.

والقائل بصحة هذه النظرة يرسل صيحات الأعجاب لعظمة معرفتنا الراهنة.

على اننا لو شاركناه اعجابه، ونظرنا إلى العلم على أنه نسيج من المعرفة فحسب، فان عالمنا لابد وأن يحتفظ بكل الفوائدوالثمار العقلية والعلمية للعلم الحديث حتى لو اغلقت المعامل ابوابها.

الا أن هذا النسيج او الشبكة المتسعة من المعلومات ليسا كاملين بالطبع، ولكنه بالنسبة للمولعين بدلالة العلم من حيث هو صرح معرفى قد بلغ الغاية من الرضا والنجاح.

ولكن إلى متى يظل الأمر كذلك؟ فهذا هو السؤال.. أما النظر الديناميكية للعلم فعلى النقيض من وذلك فهى تعد العلم نشاطا وجهدا متواصلا ومن ثم فان الحالة الراهنة للمعرفة تقوم أهميتها الجوهرية فى أنها اساس لمزيد من عمليات واجراءات تالية متواصلة.

وعلى اساس هذه النظرة، فان العلم سيختفى تماماً اذا ما اغلقت المعامل ابوابها. لان النظريات والمبادئ والقوانين الموجودة فى الاصول والمراجع ستنقلب إلى عقائد جامدة.

فبأغلاق المعامل ستتوقف كل عمليات البحث ومن تكون ثمة مراجعة أو اعادة اختيار لاية قضية من القضايا.

وعلى هذا الوجه فإن التعريف الدينامى للعلم هو أنه «سلسلة متشابكة الحلقات من المفهومات والأطارات النظرية التى تطورت ونمت نتيجة للملاحظة والتجريب. وهى سلسلة تقضى إلى المزيد من الملاحظة والتجريب».

وجوهر العلم أذن هو المجموع الكلى المفترض للنتائج والكشوف الكامنة والممكنة التى تنتظر البحث والكشف على يد العاملين فى المعامل ومجالات البحث. وهى كما يقول (كونانت) خططهم وامالهم وتطلعاتهم اثناء عملية التحقيق والأنجاز اسبوعا أثر أسبوع وعاماً بعد عام.

ويذهب «كيرلنجر» Kerlinger (١٠) فى تعريفه للعلم بان: فى العالم العلمى.. توجد رؤيتان عريضتان عن مفهوم العلم: الرؤية الثابتة static ، والرؤية الديناميكية-dy namic فالروية الثابته عن العلم.. هى الرؤية التى يفضلها الأفراد العاديون. حيث ينظرون إلى العلم على أنه نشاط يمد العالم بمعلومات منظمة، ويوصف عمل العالم الباحث بأنه الكشف عن حقائق جديدة، يضيفها إلى الكم الموجود من المعارف، أى أن العلم هو تراكم العديد من الاكتشافات، ويكون التركيز - أساساً - على المعرفة الموجودة، وما يضاف إليها.

الرؤية الثانية... الرؤية الديناميكية.. فهى تنظر إلى العلم على أنه نشاط، يقوم به العلماء وبناء على هذه الرؤية .. فمن المهم أن يوجدكم تراكمى من المعارف، ولكن ما يهم هنا حقيقة هو الاكتشافات التى يحققها العلماء. أى يكون التركيز الأساسى على طبيعة العلم وتشجيع العلماء على الاكتشاف.

يتكون العلم، كما اتضح لنا، من شقين أساسيين لا انفصام بينهما هما الجانب الحسى والذى يتمثل فى الاعتماد على معطيات الحس فى التعرف على وقائع الظاهرات التى يدرسها العالم، وهذا ما يحققه البحث التجريبى، والجانب العقلى والذى يتمثل فى التحليل المنطقى للملاحظات واستخلاص ما بين الوقائع المختلفة من علاقات والوصول إلى الملاحظات استخلاص ما بين الوقائع المختلفة من علاقات والوصول إلى تعميمات بشأنها وصياغتها فى النهاية على شكل بناء أو نسق فكرى مترابط يعتمد على المفهومات بوصفها مكوناته الأساسية ويسمى بالنظرية.

وإلى جانب هذه التعريفات . هنا العديد من التعاريف لمفهوم العلم منها ما يتفق على محددات معينة للعلم ومنها ما يختلف، وأخرى تعرف العلم بأنه مجرد نشاط الانسان فى محاولة السيطرة على الطبيعة..... الخ.

العلم... هو الخصائص والصفات التى تكونه مشتركة فى كل نشاط عقلى إنسانى حين ينصرف بشكل منظم لمحاولة تفسيرها وفهم موضوعات معينة بطريقة منظمة ومرتبة.

وليس هدفنا هنا عرض هذه التعريفات فى اختلافها أو اتفاقها بقدر ما يكون الهدف هو الوصول إلى أكثر التعريفا تحديداً وشمولية ووضوح... طالما أن التعريف فى النهاية ليس سوى موافقة واتفاق بين مفهوم ومعنى معين.

ولعله الآن نكون قد وصلنا إلى الاجابة عن التساؤلات عن ما هية العلم؟ وما اذا كانت كل معرفة علم مؤكدين على أنه ليس كل معرفة علم. وأن العلم هو الجانب الموضوعى من تنظيم المعرفة الإنسانية التى تقوم على أساس من الفهم العقلى فى محاولة للوصول إلى القانون العام الذى يحكم سير الظاهره وحدوثها فى علاقتها بغيرها من الظاهرات.

٢- وظائف العلم

توجد وجهات نظر متباينة حول وظائف العلم هذه الوظائف باختصار بنظر العالم المتخصص إلى العلم على أنه الطريق إلى فهم العالم، وأنه وسيلة للشرح والاستيعاب، تمكنه من التنبؤ والتحكم فى ظواهر هذا العالم، فان هدف العلم النهائي بالنسبة له هو التنظير، أو الوصول إلى نظريات معينة.

ويمكننا أن ندرج وظائف العلم فى النقاط التالية(٣)

★ يساعد العلم على رؤية المشكلات وتحديدها، وإثارة التساؤلات البحثية، وعلى فرض الفروض.

★ يساعد العلم على تنظيم المعلومات وتصنيفها، وبناء النظريات، واستخلاص التعميمات.

★ يساعد العلم على بناء أدوات البحث، وتحديد منهج البحث وطرقه المناسبة.

★ يساعد العلم على فى توثيق المعلومات والتأريخ للأحداث بطريقة أكاديمية.

★ يساعد العلم على فى أختيار صحة الفروض.

★ يساعد العلم على اجراء التجارب وتكرارها للتحقق من صحتها ودقتها.

★ يساعد العلم ويسهم فى تجميع الحقائق والبيانات.

★ يساعد العلم فى الجوانب التنفيذية، وتطبيق نتائج البحوث وتعميمها.

★ يساعد العلم فى تطبيق نتائجه واستخدام المعلومات والمعارف وتطبيقها.

★ كما للعلم خاصية هامة للباحث حيث تعطى له متعة البحث وهى متعة شخصية الاعتزازاً بالنفس وتذوقاً للحياة.

٣- شروط العلم وأهدافه

من الخطأ أن نعتقد أن العلم يقف عند مجرد وصف الظاهرة وتصنيفها من حيث كونها ظاهرة طبيعية جغرافية أو ظاهرة اجتماعية أو تاريخية.. الخ فللعلم شروط محددة

وواضحة.. ويكون هدف القائمين على اثبات شرعية هذا العلم هو تحقيق القدر الكافى من هذه الشروط التى تتمثل على النحو التالى:

١- الفهم والتفسير.

٢- الضبط والتحكم.

٣- التنبؤ.

أولا: الفهم والتفسير

أن أول علامات الفهم المطلوب للظاهرة محل الدراسة هو كشف العلاقات التى تربط هذه الظاهرة بغيرها من الظاهرات. ففهم الحدث المعين يكون فى أوضح صوره حينما يتم الربط الواعى بين أسباب الحدث.. وما يلازمه من أحداث أخرى فى فترة تاريخية أو اجتماعية معينة .

والأمثلة على ذلك كثيرة كثرة فروع التخصص فى العلوم سواء الطبيعية منها أو الإنسانية فليس هناك شك فى أن ظهور أى وسيلة نقل جديدة كان دائما يفتح مجالات ومسارات جديدة للسفر، تعمل على توسيع نطاق النشاط السياحى.

فان نظم السفر قبل الثورة الصناعية كان لها طابع خاص. حيث كان الأنتقال يتم باستخدام الحيوان سواء بركوبه أو فى جر عربات السفرstage coaches وكان للتطور العظيم الذى حظى به الطيران المدنى نتائج عديدة، تتطلب ضرورة التعاون والتنسيق بين دول العالم. وفى عام ١٩٥٠ بدأ تشغيل الطائرات النفاثة الذى أعتبر من أهم الأحداث بعد الحرب العالمية الثانية، وتم بعد ذلك بناء الطائرات النفاثة بوينج ٧٠٧ فى عام ١٩٥٨، وتلى ذلك تشغيل الطائرة ٨ - DC، وزادت سرعة الطائرات من ٣٥٠ ميل فى الساعه إلى ٦٠٠ ميل فى الساعة وبتشغيل هذه الطائرات أصبح من المتاح السرعة والكفاءة والطاقة، وكان آخر هذه التطورات ظهور الطائرات العريضة Wide Bodyوتشمل هذه الطائرات Boeing 747التى تستطيع حمل ٤٨٠ راكباً.. مما أدى إلى تقديم أسعار نقل منخفضة وزيادة فى عدد المسافرين.

وفى ظل هذا النمط الجديد من الانتاج الذى احتلت فيه الألة مكان الصداره..

وتضاءل دور وسائل النقل القديمة لدرجة أن غيابها عن العمل أصبح لا يشكل خطورة على العمل السياحى.

ولعله من خلال هذا المثال يكون قد اتضح كيف يكون الفهم والتفسير لظاهرة تطور الحركة السياحية هو الأساس الأول كشرط من شروط هذا العلم. وأن هذا الفهم لا يتم على النحو المطلوب ما لم يتم الربط بين الظاهرة وغيرها من الظاهرات.

ثانيا الضبط والتحكم

أن العلاقة بين التحكم والفهم هى علاقة وثيقة.. حيث يتوقف مقدار تحكنا فى احداث الظاهرة أو تفادى الآثار المترتبة على حدوثها على مدى فهمها للظروف المحيطة بالشئ المدروس. أو الظاهرة محل الدراسة فى علاقتها بغيرها من الظواهر، فالتحكم فى الظاهرة لن يتحقق على الوجه المطلوب ما لم نضع ايدينا على المتغيرات التى تسبب حدوث الظاهرة.

وأبسط مثال على ذلك يتضح من خلال الظاهرة المعروفة بتمد قضبان الشكك الحديدية.. أن التحكم فى هذه الظاهرة لم يتم إلا بعد التعرف على الظروف والملابسات المحيطة بالظاهرة ومنها أن الحديد أو المعادن تتمدد بالحرارة.. وعليه فانه اذا وضعت القضبان بشكل متصل دون ما فواصل.. فان النتيجة ستكون التواء هذه التضبان بما قد ينتج عنه اخطار فادحة وبناء على هذا الفهم .. امكن التحكم فى ظاهرة التمدد هذه بترك فراغات بين القضبان على مسافات متباعدة حتى لا يؤدى ارتفاع درجة حرارة الحديد نتيجة احتكاك القطار بالقضبان، أو نتيجة أرتفاع درجة حرارة الجو .. وبالتالى تمدده.

فأن تحكمنا فى هذه الظاهرة لن يحدث مالم يتحقق لنا الفهم الكامل بالظروف والملابسات المؤثرة على حدوث الظاهرة وبالقدر المطلوب.

ثالثا: التنبؤ

أن وسائل التنبؤ يمكن تقسيمها بصفة عامة إلى قسمين وهما: ـ

(أ) وسائل شخصية فى التنبؤ

وهى تلك التى تقوم على الخبرة والتقدير الشخصى وبالطبع فإن هناك أموراً

ومتغيرات بيئية كثيرة تحتاج إلى مثل هذا النوع من التقدير، وخاصة تلك التى يصعب قياسها وتحويلها إلى قيم كمية رغم أهميتها القصوى، وذلك مثل الظروف الثقافية والسياسية، والاجتماعية، فإنه مهما حاولنا الإستعانة بالوسائل الكمية الحديثة فستظل هناك مساحات كبيرة لا يستهان بها للتقدير والحكم الشخصى القائم على الخبرة الماضية المتراكمة والرؤية النافذة والمتعمقة للأحداث.

ب - وسائل كمية للتنبؤ

بالإضافة للوسائل الشخصية للتنبؤ يجب أن يستعان بكافة الأساليب والوسائل والادوات الكمية الممكنة لتساعد فى التوصل إلى تنبؤ فعال بالظرروف البيئية المختلفة المحيطة.

وتعد القدرة على التنبؤ بحدوث الظاهرة بمثابة القاسم المشترك الذى يسعى كل علم إلى بلوغ قدر عالى فيه... ذلك أن التنبؤ بحدوث الظاهرة يمكن أن يجنب البشرية كثير من الأخطار الناتجة عن وقوع حوادث معينة.

إلا أننا نود الاشارة إلى ضرورة الجمع بين كل من الأساليب الكمية والشخصية حيث لا يمكن التوصل إلى أسلوب واحد يحقق تنبؤاً كاملاً مهما كانت درجة تقدم التكنولوجيا التى يعتمد عليها.

ورغم أنه ليس هناك تنبؤ دقيق بدرجة ١٠٠٪ إلا أن بذل المزيد من الجهد والوقت لدراسة كافة الحقائق التى لها علاقة بالدراسة والمتصلة بالبيئة المحيطة، سوف يؤدى إلى تنبؤ جيد يضع يدينا على أهم الفرص والتهديدات المتوقعة. لذلك فإن التنبؤات الدقيقة تحقق مزايا مهمة وتعتبر ذات أهمية قصوى.

ولعله مما سبق يتضح كيف أن أهداف العلم الثلاثة سابقة الذكر هى عمليات متصلة بدرجة كبيرة.. على أساس أن القصور فى إتمام أحد هذه الأهداف بالدرجة المطلوبة يوثر بالقطع على الأهداف الأخرى.

فعملية الفهم.. تعد عملية أولية لا غنى عنها للعالم كى يتمكن من التعرف على الظروف والملابسات المحيطة بالظاهرة وبالتالى تمكنه من التدخل بقدر فى تغيير هذه

الظروف وبنفس القدر الذى تسهم به عملية الفهم فى القدرة على الضبط والتحكم فهى تسهم أيضا بنفس القدر أن لم يفوق فى عملية التنبؤ.

٤- خصائص وسمات المعرفة العلمية

اكتسب العلم خلال تطور طويل وبعد التغلب على عقبات كثيرة سمات مميزة اتاحت له بلوغ نتائجه النظرية والتطبيقية الباهرة هذه السمات ثبت خلال رحلة العلم الطويلة انها تساعد على العلو ببناء المعرفة وزيادة قدرة الانسان على فهم نفسه والعالم المحيط به.

كما يمكن اتخاذ هذه السمات مقياس لمدى علمية أى نوع من النشاط يقوم به الانسان.

فان هناك خصائص للمعرفة العلمية * يمكننا أدراجها على النحو التالى:-

١- العلم نشاط مقصود

العلم نشاط مقصود، بمعنى دراسة ظواهر معنية يعكف عليها الباحث ويتناولها بالملاحظة الدقيقة والتحليل، كما يمكن للباحث أن يخضعها للتجربة بفرض تفسيرها أو التوصل إلى قوانين عامة التى تحكم إطرادها.

٢- العلم يفسر الظواهر

العلم يهدف إلى تفسير ما هو موجود، أو تفسير الظواهر التى تنتج عما هو موجود، وإن لم يكن هو زاته موضوع لخبرتنا المباشرة.

٣- العلم يبحث عن الاسباب (السببية)

لا يكون النشاط العقلى للانسان علماً، بالعنى الصحيح إلا إذا استهدف فهم الظواهر وتعليلها، ولا تكون الظواهر مفهومة إلا اذا توصلنا إلى معرفة اسبابها. فمعرفة الإسباب تمكننا من أن نتحكم فيها على نحو أفضل ونصل إلى نتائج عملية انجح.

والبحث عن الاسباب له هدفان:

أ- الهدف الأول هو ارضاء الميل النظرى لدى الانسان، أو ذلك النزوع الذى يدفعه إلى البحث عن تعليل لكل شئ.

انظر فى هذا بشئ من التفصيل كتاب المنطق الوصفى جـ (٢) د/ ذكى نجيب محمود ١٩٧٢.

ب- معرفة الأسباب تمكننا من أن نتحكم فيها على نحو افضل ونصل إلى نتائج عملية انجح بكثير من تلك التى نصل إليها بالخبرة والممارسة.

من اجل هذين العاملين كانت المعرفة العلمية الحقيقية مرتبطة بالبحث عن اسباب الظواهر. واذا كان كثير من المؤرخين يتخذون من آراء الفلاسفة اليونانيين القدماء نقطة بداية للعلم، فما ذلك إلا لان هؤلاء الفلاسفة قد تفوقوا على غيرهم فى التساؤل والبحث عن الاسباب.

٤- العلم يتصف بالتحليل

العلم يتصف بالتحليل، طالما أنه يهدف إلى التفسير. وبما أن أغلب الموضوعات أو الظواهر التى ينصرف العلم (وخاصة الطبيعى) إلى تفسيرها، وموضوعات أو ظواهر مركبة فكان من الضرورى أن يهتم العلم بتحليل ما هو مركب، وذلك بغرض التعرف على أبسط العناصر التى تكونه، وعلى العلاقات التى تقوم بين هذه العناصر - سببية كانت أو غير ذلك - وعلى نسبتها بعضها إلى بعض.

٥- اختيار صدق النتائج

يتصف العلم بامكان اختيار صدق نتائجة وتعميماته، وهذا ما يعرف بقابلية قضايا العلم للتحقيق verifiability أو التثبيت من صدقها. فالعبارة العلمية ينبغى أن تكون قابلة للتحقيق من صدقها، إن لم يكن بالفعل الآن فمن الممكن غدا. المهم أن تكون مما يمكن تحقيقه. بمعنى الرجوع إلى الواقع الخارجى لكى تثبت من صدق نتائج العلم بالنسبة للموضوعات أو الظواهر التى يدرسها ذلك العلم.

٦- صياغة النتائج صياغة كمية

العلم يهدف إلى صياغة نتائجه صياغة كمية بقدر المستطاع، أى إلى التعبير عن نتائجه بطريقة أكثر دقة. كلما أمكن صياغة المفاهيم الواردة فى علم من العلوم والتعبير عنها بطريقة كمية. مثل (قول أن درجة حرارة الجو اليوم هى كذا درجة مئوية). كان ذلك دليلا على تقدم هذا العلم وعلى دقة مفاهيمه ونتائجه.

٧- العلم يتصف بثبات صدق قضاياه

العلم يتصف بثبات صدق قضاياه، بمعنى أن نتائجه وتعميماته تصدق فى الظروف التى تمت فيها صياغة تلك التعميمات، وبالنسبة للحالات التى تمت دراستها أثناء التوصل إلى تلك النتائج، كذلك بالنسبة للحالات المماثلة لها مما يمكن أن نصادفها مستقبلا، فنتنبأ بأنها ستكون على غرار الحالات التى درست من قبل.

إلا أن ثبات صدق العلم وقوانينه لا يعنى الصدق الدائم أو اليقين المطلق وإلا ترتب على ذلك أن تكون نتائج العلم نهائية مطلقة، الأمر الذى لا يتفق مع مسار التطور المشاهد فى تاريخ نتائج العلم. فثبات الصدق هنا ثبات مرحلى موقوت بالمرحلة التى يتم الكشف فيها عن القوانين والتعميمات العلمية.

٨- استمرارية العلم واتصاله

فالبحث العلمى مستمر متصل الحلقات بحيث تمهد كل حلقة منها لظهور الحلقة التالية وتقضى إليها، وبحيث تكون كل حلقة منها متممة ومكملة ومعدلة للحلقات السابقة عليها بمعنى أن العالم حين يعكف على دراسة احدى ظواهر علمه، أو حين يتصدى لتفسيرها، فإنه لايبدأ من لا شئ أو من الصفر، إنما يستعين بما حققه العلم من إنجازات وتفسيرات (سواء كان ذلك على شكل قوانين أو نظريات علمية مختلفة)، ويبنى عليها أو يضيف إليها أو يعدل منها، فيجعلها نقطة بدء ينطلق منها فى تفسيراته المختلفة للظواهر.

العلم معرفة تراكمية فلا يتيسر كشف علمى الا بكشوف اخرى من اجيال سابقة وفى مجالات أخرى، فاكتشاف (مدام كورى) لم يكن ممكنا الا بعد اكتشاف (بيكريل) للنشاط الاشعاعى لليورانيوم. فلكل كشف بمفرده شجرة أنساب. ولا مكان فى العلم للتولد التلقائي. بل أن العلم كما يقول (سارتون) هو النمو الوحيد فى الخبرة الانسانية.

فقد بدأ للناس، من ميدانها، وأنها تعبر عن حقيقة مطلقة ودام ذلك ما يقرب من قرنين من الزمان، ثم جاءت فيزياء الكم فابتلعت فيزياء (نيوتن) فى داخلها وتجاوزتها واثبتت أن ما كان بعد حقيقة مطلقة ليس فى الواقع الا حقيقة نسبية.

فالعلم ليس اقتناء لما هو ثابت لا يتغيير، والنظريات من حيث هى وجهات نظر جديدة أكبر قيمة من تلك الكشوف التى تزيد مقدار مالدينا من المخزون العلمى واعظم المجددين- فى نظره - هم الذين أول من ينتابهم الشك فى كشوفهم نفسها، ويعتريهم الخوف منها. فمعنى ذلك أن هناك تصحيح متصل للمبادئ الاساسية وتقويم لها.

٩- نتائج العلم قابلة للتطوير

أن تكون نتائج العلم قابلة للتطوير ، طالما أن قوانينه غير نهائية أو مطلقة. ولذا فالبحث العلمى متصل كما ذكرنا، كما أن الكشف والتفسير العلمى مستمر لا ياتوقف عند حد معين.

فالعلم يسير بخطى متلاحقة إلى الأمام، فتتراكم معارفه حتى تصل إلى الدرجة التى تمكنه من صياغة وقائع جديدة، وهكذا يرتفع بناء العلم طابقاً فوق طابق، ويظل الامل معقوداً فى مواصلة تقدمه طالما لم تتجمد وقائعه عند مرحلة ثابته.

وهو ايضاً جهد جمعى يقوم على التعاون. ولا يمكن لرجل علم بمفرده أن يتولى جميع الخطوات والآجراءات. ولابد أن تتكافل جهود العلماء فى نطاق فريق. وهذا هو ما عبر عنه (نيوتن) فى قوله بانه لم يستطع أن يرى ابعد من الآخرين الا لانه استطاع أن يصعد على اكتاف سابقية. كما لم تعد نتائج فروع العلم المختلفة منعزلة بعضها عن بعض، بل اصبح كل علم معتمداً على الآخر، يلتقط منه مشكلاته، أو يعثر على حلها.

١٠- العلم يتصف بالموضوعية

العلم يتصف بالموضوعية وليس بالذاتية، بمعنى أن تكون حقائق العلم- بقدر الامكان - بمنأى عن ذات الباحث مستقلة عنه . فلا يكون الباحث متأثرا اثناء إشتغاله بالعلم بنزعات خاصة أو افكار مسبقة (جاهزة) يفسر فى ضوئها ما يراه، بل يكون محايداً بقدر الامكان .

١١- العلم يتصف بالشمولية واليقين

المعرفة العلمية معرفة شاملة، بمعنى انها تسرى على جميع أمثله الظاهرة التى يبحثها

العلم، ولا شأن لـها بالظواهر فى صورتها الـفردية. وحتى لو كانت هذه المعـرفة تبدأ من التجربة اليومية المألوفة مثل سقوط جسم ثقيل على الارض.

وعلى ذلك فالحقيقة الـعلمية قابلة لان تنقل إلى كل الناس الذيـن تتوفر لديهم القدرة العقليـة على فهمها والاقتـناع بها. أى أنها حقيقـة عامة أو مشاع، تصبح بمـجرد ظهورها ملكا للجميع، متجاوزة بذلك النطاق الفردى لنكتشفها والظروف الشخصية التى ظهرت فيها. وهذه الصفة هى التى تجعل الحقيقة العلمية يقينية.

والواقع أن اليقين فـى العلم مرتبط ارتباطاً وثيـقاً بطابع الشمول الذى قلـنا أن القضايا العلمية تتسم به، اذا أن كل عقل لابد أن يكون «عـلى يقين» من تلك الحقيقة التى تفرض نفسها عليه بادلة وبراهين لا يمكن تفنيدها.

وتجد الاشارة هنـا إلى أن المقصود باليـقين هنا هو اليـقين الموضوعى المرتكـز على ادلة منطقية مـقنعة لاى عقل، وليس اليقين الـذاتى المبنى على الميول والاتجاهـات الذاتية فهذا النوع مـن اليقين مضـللا ونحن نلاحـظ فى تجربتنا الـعادية أن أكثر الـناس يقينـا هم عادة أكثرهم جهلا فالشخص محدود الثقافة موقن بصحة الخبر الذى يقرؤه بالجريدة وبصحة الاشاعة التى سمعها من صديقه بصحة الخرافة التى كانت تردد له فى طفولته.

٢ ١- العلم يتصف بالتعميم

العلم يهدف إلى التعميم، بمعنى أن القوانين أو النتائج التى يتم التوصل إليها ينبغى الا تقتصر على تفـسير حالة جزئية واحدة، بل كذلك جميع الحـالات والجزئيات المشابهة أو المماثلة لها.

٣ ١- العلم يتصف بالدقة والتجريد

فى حياتنا المعتادة نستخدم فى احيان كثيرة عبارات تتسم بالغموض، وتبتعد عن الدقة، وامثال هذه التعبيرات ليست مرفوضة فى الاحاديث اليومية المألوفة، بل انها قد تؤدى فيها وظيفـة هامة، وهى الايحـاء بشئ معـين دون تحديد دقيـق له. أما فـى العلم فمـن غير المقبول أن تترك عبـارة واحـدة دون تحديـد دقيق، أو تستخدم قضيـة يشوبها الغموض. بـل انـه حتـى فـى الحـالات الـتى لا يـستـطـيـع فـيـهـا الـعـلـم ان يـجـزم بـشئ

ما على نحو قاطع، وانما يظل هذا الشئ احتمالياً فى ضوء احدث معرفة وصل إليها العلم وحتى فى هـذه الحالات يعبر العلـم عن هذا الاحتمال بـدقة، أى بنسبة رياضـية محددة، ذلك فانه يحدد بدقة درجة عدم الدقة.

والوسيلـة التى يلجأ الـيها العلم مـن أجل تحقيق صفـة الدقة هذه، هى استـخدام لغة الرياضيات. ويتبين لـنا من دراسة تطور العلم انه كلما انتقـل إلى مرحلة أدق، أصبح من المحتم علـيه أن يستخدم الـصيغ الرياضية عـلى نطاق اوسع، وبالـعكس تظل العـلوم غير دقيقة ما دامـت تعبر عن قضايا بالـلغة العادية، فالريـاضة بطبيعتها عـلم مجرد ، أى أنه لا يتحـدث عن اشياء مـلموسة . فـحين نقول أن ٣ + ٢ = ٥ لا يـكون المقصود مـن هذا أية ثلاثة اشياء محددةو وانما المقصود هو العـلاقة المجردة بين حدود معينة، بغض النظر تماماً عما اذا كانت هذه الارقـام تعبر عن بشر أو فاكهة أو كتب.

ومن هنا كان التجريـد صفة ملازمة للعلم سواء تم ذلك التجريـد عن طريق الرياضة (وهو الاغلب) أو عن طريق أى نوع آخر من الرموز والاشكال.

وقد يبدو للوهلـة الأولى أن صفة التجريد هذه تباعد بين العـلم وبين الواقع الملوس. ولكن فى الحـقيقة أن التجريـد هذا يكسب الانسان مزيـداً من السيطرة علـى هذا الواقع، وتتيح لـه فهما افضل لقـوانينه. فالعلـم المعاصر، الذى تبدو كـتبه وابحاثه كمـا لو كانت تعيش متقوقعـة فى عالمها الخاص المليئ بالرموز.. والمعادلات والاشكـال الهندسية - هذا العلم هو الذى يتمكن، عن طريق هذه الـرموز المجردة ذاتها، من أن يقدم إلينا فى كل يوم كشفـاً واختراعاً جديداً ويـجعلنا نـسيطر على نمـو افضل على ظـروف معيشتنـا أو يرفع مستوى حياتنا اليومية ذاتها بلا انقطاع.

وتلك هى الصفة الفريدة حقاً فى العلم: أن طريـقته فى السيطرة على العالم الملموس والتغلغل فيه هى أن يبتعد عنه ويجرده من صفاته العينية المألوفة.

٤ ١- العلم يتصف بان له مو ضوع

العلم له موضوع معين (أوعدة موضوعات منتظمة فى سياق ما) يبحث فيه العالم.

(أ) بحيث ينتهى إلى عدة نتائج (قوانين) أو حقائق تفسر الظواهر موضوع البحث.

(ب) يستخدم الباحث منهجاً يتفق وطبيعة موضوع البحث.

(جـ) يحاول الاستفادة من الادوات والامكانيات التى تساعده على الكشف عن النتائج والحقائق.

١-٥ التنظيم من سمات العلم

ونعنى به هنا أننا فى العلم لا نترك افكارنا تسير حرة طليقة، وأنما نرتبها بطريقة محددة، وننظمها عن وعى، ونبذل جهداً مقصوداً من اجل تحقيق افضل تخطيط ممكن للطريقة التى نفكر بها.

وأذا كان العلم تنظيما لطريقة تفكيرنا أولا سلوب ممارستنا العقلية، فانه فى الوقت ذاته تنظيم للعالم الخارجى، أى أننا فى العلم لا نقتصر على تنظيم حياتنا الداخلية فحسب، بل تنظم العالم المحيط بنا أيضا. ذلك لان هذا العالم ملئ بالحوادث المتشابكة والمتداخلة، وعلينا فى العلم أن نستخلص من هذا التشابك والتعقيد مجموعة من الوقائع التى تهمنا فى ميداننا الخاص. وهذه الوقائع لا تأتى الينا جاهزة، ولا تحتمل جزءا منفصلا من العالم الصقت عليه بطاقة اسمها (الكيمياء) أو (الفيزياء) بل أن مهمتنا فى العلم هى أن نقوم بهذا التنظيم الذى يمكننا من أن ننتقى من ذلك الكل المعقد، ما يهمنا فى ميداننا الخاص.

١-٦ نسقيه العلوم

نسقية systematisation العلوم، فهى كلها يمكن أن تتدرج فى بناء نسقى واحد يبدأ بعلم المنطق وهو أعمها. بحيث يكون ترتيب هذه العلوم فى داخل ذلك النسق المتكامل ترتيباً قائماً على وضع ما هو خاص من قوانين ومبادئ وفروض تحت ما هو أعم منه حيث يؤكد «رودلف كارتب» «R.carnap» لا وجود لمصادر متعددة مختلفة للمعرفة، بل هناك علم واحد فقط فجميع العلوم والمعارف تجد لها مكاناً فى هذا العلم، والمعرفة فى حقيقتها ذات نوع واحد فقط، وما المظهر الخارجى للخلافات الاساسية بين العلوم الانتيجة مضللة لاستخدامنا لغات فرعية للتعبير عن هذه العلوم(٤)

١-٧ تكامل العلوم

تتكامل العلوم فالتفكير العلمى وخاصة المعاصر منه، أصبح متكاملا بعد زيادة

التخصص الدقيق فى العلوم المختلفة، فمن الملاحظ أنه مع زيادة تطور العلوم وتخصصها، ظهرت مشكلات جديدة تحتاج إلى تفسير علماء مختلفين. بل وأحيانا حتى إلى ظهور علوم جديدة متخصصة قائمة على أساس أكثر من علم فينشأ هذا العلم أصلا نتيجة لتعاون عدد من العلماء والباحثين ذوى التخصصات المختلفة.(٥)

ثانيا : علم السياحة

١- حداثة علم السياحة

لقد عرفنا العلم: بأنه هو تنظيم معرفتنا بالطريقة التى من شأنها أن نسيطر على الكامن والخفى فى الطبيعة.

فالمعرفة البشرية يمكن تقسيمها على النحو التالى:

١- المعرفة الذاتية:

أى معرفة الانسان لذاته.

٢- المعرفة التاريخية:

أى معرفة الانسان لتاريخه وحضارته ولنشاطه وادواته ومنتجاته.

٣- المعرفة الايكولوجية:

أى معرفة الانسان لبيئته الطبيعية المحيطة به.

فالعلم يتضمن جمع وتصنيف المعلومات ودراسة الحقائق، وهذه المعلومات تخضع لطرق علمية متفق عليها يستنتج منها المباءئ العامة والقوانين التى تحكم العلاقات القائمة بين مختلف الحقائق المتناثرة ومجموعة المعلومات التى تجمع عن ظاهرة انسانية معينة.

فالمعرفة الانسانية يمكن تصنيفها إلى ثلاث مجالات يمكن أن ندرجها على النحو التالى:-

- **العلوم الاجتماعية**
- **العلوم الطبيعية**

- الانسانيات

فان هذه المجالات يمكن تقسيمها إلى علوم متخصصة يتصل بعضها البعض. وكلما تقدم العلم كلما ظهرت علوم تخصصية جديدة لكى تسهل الدراسة المتعمقة والمعرفة الواعية.

- العلوم الاجتماعية

شهدت أواخر القرن التاسع عشر ظهور العلوم الاجتماعية كعلوم مستقلة عن الفلسفة، ومجالات لاستخدام المنهج العلمى فى تحليل المجتمع والسلوك الانسانى من أجل التوصل إلى القوانين العامة التى حكمه.

فالعلوم الاجتماعية هى مجموعة العلوم التى تقوم على دراسة الحياة الانسانية الاجتماعية: وهى تقوم على العوامل الإساسية التى تحدد السلوك الانسانى. فالنظام الاجتماعى يتضمن الافراد وادوارهم التى يلعبونها فى الحياة وطرق سلوكهم وجميع ما يقومون به سواء بوجه عام أو خاص.

ويطلق على العلوم التى تتناول الفرد فى الجماعة ومختلف العلاقات داخل هذه الجماعة «العلوم الاجتماعية» وتشمل إلى جانب علم السياحة علوماً أخرى كعلوم الاقتصاد والتسويق وعلم النفس والانثروبولوجيا وعلم الاجتماع والسياسة وعلوم البيئة والقانون وعلوم الاحصاء وغيرها.

- العلوم الطبيعية

العلوم الطبيعية تعالج موضوعاتها البيئة الطبيعية. حيث تتضمن العلوم المتخصصة كالفيزياء والكيمياء وعلم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) والطبيعة التى تتعلق أساساً بقوانين المادة والطاقة والحركة، وايضاً تتضمن البيولوجيا «علم الحياة» التى تتناول الكائنات الحية ومنهج البحث فى العلوم الطبيعية المنهج التجريبى Empirical Method ويسمى هذا المنهج تقليديا باسم المنهج الاستقرائىInductive ، كما حديثا باسم المنهج الفرضى Hypothetical أو العلمى scientific فالاستقراء فى مجال العلم الطبيعى - العملية العقلية التى يتوصل بواسطتها العالم، بناء على ادراكه لعدة حالات، إلى حكم

عام ينطبق على هذه الحالات، وعلى غيرها من الحالات الاخرى المشابهة لها. أو هو الانتقال من الحكم عن البعض (بعض الحالات أو الأمثلة) إلى الحكم على الكل (كل الحالات أو الامثلة المتشابهة) على سبيل المثال (٥)

- الانسانيات

الانسان محور دراسة العلوم الإنسانية، تهتم العلوم الإنسانية بالوقائع Facts شأنها فى ذلك شأن العلوم الطبيعية، لكن وقائع العلوم الانسانية تختلف عن وقائع العلوم الطبيعية اختلافاً جذرياً، فالواقعة بالمعنى المستخدم فى العلوم الإنسانية واقعة ينتجها موجود إنسانى يصدر عنه أحكام أخلاقية وله معايير وأهداف ومشاعر وقيم وليس للواقعة الطبيعية ذلك، ووقائع العلوم الطبيعية محسوسة وملموسة لها وجود ماثل أمام حواسنا ووقائع مباشرة تخضع للإدراك الحسى، أما وقائع العلوم الإنسانية فهى وقائع غير مباشرة تتمثل فى المعانى والمشاعر والأفكار التى ينفذ إليها وراء ما هو حسى نفاذاً كيفياً فوقائع العلوم الإنسانية فتخضع للفهم الذى ينفذ إلى المعانى الباطنة داخل الأشياء.

فالانسانيات تتضمن كل الجوانب الحضارية والثقافية للانسان بالاضافة إلى نظم التى يتمسك بها. فالعلوم الانسانية تتناول الفرد أما لكائن حى قائم بذاته أو كفرد فى جماعة. وأوضاع العلاقات داخل هذه الجماعة. فلقد حاول الانسان دائما أن يعبر عن قيمة الروحية والسلوكية والذوقية عن طريق اللغة والموسيقى والرسم والنحت وغير ذلك ولقد حاول كذلك اكتشاف أسرار الكون والمعنى الحقيقى للحياة عن طريق الفلسفة والعلوم الدينية. فالعلوم الانسانية أنها تلك التى تدرك العالم على أنه ينطوى على معان، وتتكون معرفتها بتلك المعانى، وهذا يعنى أن علوم الانسان تحاول النفاذ إلى الأفكار والمشاعر والمعانى والمقاصد التى تقف وراء الواقع أو التعبيرات المختلفة وإدراكها إدركا كيفياً(٦)

والسؤال: ما موقع علم السياحة من العلوم سابقة الذكر؟

الأجابة واضحة، فعلم السياحة يقع فى أطار العلوم الاجتماعية. فالسياحة فى صورتها الحالية هى نظام علمى ينتمى إلى الاطار الاجتماعى (العلوم الاجتماعية).

ويمكن القول أن الانسان الاول بدأ حياته وهو يسعى وراء الاستقرار على الأرض، مما أدى به للتنقل والترحال سائحاً فى الأرض، ولكن استمر حتى بعد استقراره - متنقلا سائحا يسعى وراء مزيد عن المتعة والاستمتاع والراحة ،والترويح والترفيه، المتمثلة فى المشاهدة لمناطق لها جمالها الطبيعى والمناطق الخلوية وأشكالها الأرضية وغطاء مائي ونباتى والحياة البرية وشاهدة لعب فى موطنها الطبيعى. والاحتكاك بغيره من سكان العالم للتعرف على ما أنجزوه وما هم به قائمون، وتنوع المناظر الثقافية... وأساليب الحياة والفولكلور والتعبيرات الفنية.

فان الاهتمام بالسياحة كان موجوداً فى الدراسات الانثروبولوجية خاصة، ويظهر ذلك فى كتاب «هيرودوت» حيث يوضح أنه سافر عبر بلاد الاغريق كلها إلى مصر حتى وصل أسوان ، وعلى طول الساحل الشرقى للبحر المتوسط إلى غزة وصور إلى وادى الفرات فى بلاد العراق وبابيلون وإلى منطقة البحر الاسود وأخيرا إلى thuria فى جنوب ايطاليا حيث قضى نحبه فيها.

فالعلوم الاجتماعية عند دراستها للسياحة فهى تتناول كل العوامل المختلفة التى تؤثر فى السياحة وابعادها المتعددة وعلاقة هذه الأبعاد بعضها ببعض من أجل فهم أعمق وأشمل للسياحة.

وتهتم العلوم الاجتماعية ايضاً بدراسة العنصر البشرى فى مجال السياحة حيث أن السلوك الانسانى له دور فعال فى نجاح العملية السياحية ويتضمن علاقات وتفاعلات بين الافراد فى صورة نشاط يتميز بخصائص معينة تضم عناصر يجب أن تعمل فى تساند وتعاون لكى تخلق صناعة سياحية مخططة على أسس علمية تأخذ فى اعتبارها الدوافع للسفر والترحال واتجاهات الحركة السياحية وضرورة التقاء العرض والطلب، والعلاقة الوثيقة بين المجهودات التسويقية وحجم حركة السياحة الوافدة.

ويقوم علم السياحة بدراسة نوعية الخدمات التى تقدم للسياح حيث لابد من توفير كافة الاحتياجات المختلفة للسائحين حسب المستوى الاجتماعى والثقافى والامكانيات المادية المتاحة لهم حيث أن المستوى الاقتصادى وأيضا الاجتماعى والثقافى يلعب دوراً هاماًفى اختيار نوعية الخدمات المتمايزة.

كما أن علم السياحة يدرس امكانية اقامة فندق مثلا أو قرية سياحية فى مكان ، ما كذلك يبحث فى ماهية الظروف الاجتماعية والثقافية والبيئية لنجاح هذا المشروع وأى الأمثلة فى تفضيل هذا المكان لانشاء فندق مثلا والآخر لانشاء قرية سياحية. وأثر التوسع السياحى على برامج التطوير الاقتصادى الاجتماعى وعلى الحضارة وحياة الشعوب، كل ذلك يؤدى إلى ضرورة إقامة نظام سياحى متكامل.

والسياحة كنشاط اجتماعى يبرز سلوكاً معيناً للشخص، وهى وشديدة الصلة بالعلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع. وهى تتطلب دراسات عديدة مثل دراسات شرائح المجتمع والعادات والاعراف وسلوك مختلف السائحين من جنسيات وطبقات اجتماعية متباينة، والنتائج الاجتماعية للتوسع السياحى.

ويجدر بنا أن نشير فى هذا المقام إلى أن ندرس علم السياحة للطلاب فى المنطقة العربية ظل ومازال يتبع الاتجاه التقليدى السائد فى أوربا. وبذلك فان الأساتذة كانوا يرجون (وربما من غير أن يشعروا) للافكار التى يبثها المشتغلون بعلم السياحة هناك، وهى أفكار اعتقد أنها أصبحت مناراً للشك فى عميلتها. وجدير بالذكر أن هناك تيارات حديثة فى علم السياحة يمكن الاعتماد عليها دون النظرية التقليدية فان اتباع هذه النظرية القديمة والتقليدية فى العمل السياحى. يجعل من السياحة علم عديم الفائدة، ومن شأن ذلك أن يعطل من تطور علم السياحة فى المنطقة العربية، اذ أنه يمكن أن يكون ضاراً بهذا الوطن (الوطن العربى) اذا كانت الأفكار التى يتضمنها غير علمية وتعوق فهم الوطن العربى ومشكلاته وتطلعاته على أسس علمية حقيقية.

ولكن ما يدعو إلى التفاؤل للمستقبل أنه فى مصر وبعض الدول العربية بدأ بعض علماء السياحة وعدداً كبيراً من شباب العلماء من المهتمين بدراسة علم السياحة ومن القائمين بتدريسه فى مصر يتخذون موقفاً نقدياً من المسلمات التى يقوم عليها علم السياحة التقليدى ويدعون إلى فهم المنطقة العربية على أسس علمية سليمة.

٢- علم السياحة النظرى والتطبيقى

Theoretica and Applied Tourism

العلم يتضمن جمع ودراسة وتصنيف المعلومات والحقائق. وهذه المعلومات التى تجمع تقوم أساسا على المشاهد التى تخضع لطريقة متفق عليها لاستخراج المبادئ العامة والقوانين التى تحكم العلاقات القائمة بين مختلف الحقائق المتناثرة ومجموعة المعلومات التى تجمع عن ظاهرة انسانية معينة أو سلوك معين.

فان هذه القوانين تتطور إلى نظرية فالغاية الأولى لعلم السياحة هو دراسة الظواهر أو النظم السياحية أو الوقائع دراسة تحليلية وصفية، لاكتشاف القواعد والقوانين التى تخضع لها. شأنه فى هذا كشأن أى علم من العلوم.

فان الدراسات السياحية تنقسم من ناحية معالجتها للموضوعات لنوعين ندرجهما على النحو التالى:

١ - الدراسات الوضفية Positive

٢ - الدراسات الوصفية Descriptive

فعلم السياحة - من حيث هو علم - ينتمى إلى الدراسات الوضعية Positivism أى تلك الدراسات التى تقوم على وصف ما هو كائن بالفعل.

الدراسات السياحية الوصفية Tourism Desribive studies تمتاز بكثرة الوصف، أى دراسات تصف ما هو قائم فعلا، فهى تقوم على وصف الظواهر وتحليلها وقياسها وبيان اسبابها وعللها .... الخ ، وتصل عن طريق ذلك إلى اكتشاف القواعد والقوانين التى تخضع لها، وذلك مثل العلوم الآخرى كعلم الاجتماع - والجغرافيا - والاحياء - والميكانيكا ... الخ.

وتعنى الدراسات السياحية الوصفية تجميع المعلومات والبيانات والحقائق حول موضع سياحى محدد على سبيل المثال صناعة الفندقة - أو الأوضاع السياحية فى منطقة محددة مثل مدينة الاقصر ومحافظة أسوان - أو مشروعات التنمية السياحية فى اقليم معين.

فأن علم السياحة ينـدرج تحت الدراسات الموضوعية objective أى تلك التى تصف الظاهـرة مبنيـة أبعادها. والدراسـات الموضوعيـة هى الدراسات التـى تنظر إلـى الشئ أو الظاهرة وتصفها وتحللها.

ولكن بجانب هذه الغاية النظرية لعلم السياحة هناك غاية أخرى عملية: وذلك أن عالم السيـاحة إذا تمكن عـن طريق دراستـه من اكتشـاف القواعد والـقوانين التـى تخضع لـها التخطط السياحية فانه يفتح بذلك الطريـق امام مخططين السياحة لكى يقوموا بما يريدون عملة من إصلاح، على أساس علمى سليم.

فان كل مخطط سياحى لم تسبقه دراسة تحليلية نظرية للاقليم أو القطاع المراد تخطيطه هو تخطيط مرتجل فاشل لأنه لا يقوم على أسس علمية مستنيرة. فالغاية البعيدة من دراسة علم السياحة إذن التمهيد لفهم مشكلات الـسياحة وطبيعة السياحة ومن ثم الوصول إلى إصلاح القطاع السياحى على اسس علمية.

وعلم السيـاحة عندما ينتقل من مرحلـة الدراسـة الوضعية واكتشـاف القوانين إلى مرحلة الافادة من هذه الدراسـة يسمى علم السياحة التطبيقى Applied أو العمل prac-tical.

وبالنسبة للدراسات السياحية التطبيقيةTourism Applied Studies فهى تحلل تطبيق الإطار العام للنظرية السياحية أو التحليل السياحى لشرح وتوضيح الأبعاد الحقيقية لمشكلة محـددة ظهرت نتـيجة لـلدراسة الـوصفية فـعلى سـبيل المـثال إذ أوضحت الـدراسات الوصفيـة أن هناك أتجاهاً إلى نـقص متوسط الأقامة الـسياحية فى منـطقة معينـة فالدراسة التطبـيقية تشرح وتـوضح أسباب هذه الظـاهرة وكيفية الـعمل على معـالجتهاً بالإستـعانة بقواعد وأسس النظرية السياحية المتاحة.

والقواعد العلمـية والنظرية تسير إلى أن تكون المـنطقة السياحية يتطلـب توفير خمسة عنـاصر أساسيـة يمكن التـعامل مـعها وإذا غاب أى عـنصر منـها إنتـهت المنطـقة سياحـياً وأصبحت شيئاً أخر.

نستنتج مـن ذلك أنه ما من بحث علمى يمـكن أن يجرى دون استرشاد بنظريـة علمية

ودون أن يسهم فى هذه النظرية، كما أنه ما من نظرية علمية صادقة يمكن ان تتكون وتدخل فى نظاق العلم ما لم تعتمد على نتائج بحوث علمية ودون أن توجه إلى المزيد من البحوث.

٣- المداخل الرئيسية لدراسة علم السياحة

إذا أتفقنا على أن هناك ثلاثة فروع رئيسية للدراسات السياحية أو ثلاثة دوائر لمعالجة الأهتمامات السياحية فانه توجد مداخل متعددة يتم توظيفها عندما نتعرض لدراسة المشاكل أو القضايا السياحية وليس هناك أتفاق مؤكد وحاسم حول المدخل الذى ينبغى أن يتخذ، إذ تتنوع وفقاً للإهتمامات والخلفية العلمية وفيما يلى عرض موجز للمداخل المتبعة فى الدراسات السياحية:-

١- المدخل التاريخى Historical Approach

ويتعلق هذا المدخل بدراسة تطور الأنشطة السياحية ومؤسساتها تاريخاً ومتابعة أسباب التقدم أو التراجع والمؤثرات الداخلية والخارجية ونظراً لأن ظاهرة السياحة بشكلها الحالى ترجع إلى فترة زمنية ليست طويلة فان هذا المدخل يستخدم غالباً فى الدراسات التمهيدية وقاعدة ضرورية ينطلق منها البحث والتحليل.

٢- المدخل البيئى

والسياحة تتعلق بالمكان باعتباره مسرح العمل السياحى ويهتم علماء البيئة بدراسة الموقع الجغرافى والمناخ والأراضى، وتركز البيئة على المواقع السياحية وحركة السائحين وفقاً للمكان وأساليب تنمية المواقع وتوزيع الخدمات والتسهيلات وأستغلال الأراضى والاستغلال الأمثل وتوضيح التباين بين مناطق الزيارة وأماكن التجميع والأقامة والإعاشة.

٣- المدخل الإجتماعى Social Approach

فالسياحة كما تعلم ما هى إلا ظاهرة إجتماعية لها تأثيرها البالغ المدى على المجتمع ولذلك حظيت السياحة باهتمامات خبراء علم الإجتماع، فالمواجهة التى تحدث بين الزائرين الأجانب والمضيفين تنشأ مرحا تتفاعل فيه السلوكيات والتقاليد والعادات

المتعارضة وتحدث نتائج إيجابية ونتائج سلبية ولذلك فالمنهج الإجتماعى يركز على دراسة الأنسان وتصرفاته خلال الزيارة ودراسة العادات والتقاليد والسلوكيات ومدى التغيرات التى تحدث فى المجتمع نتيجة تزايد حركة السياحة وأساليب معالجة الثغرات التى قد ترتب على زيادة السائحين.

٤- المدخل الإقتصادى Econamic Approach

يهتم الإقتصاديون بدراسة ظاهرة السياحة من الناحية الإقتصادية سواء بالنسبة للسياحة المحلية أو السياحة الدولية، ويركز الإقتصاديون على جوانب العرض والطلب والمؤثرات والمتغيرات بالنسبة لكل جانب وعلاقة النشاط السياحى بميزان المدفوعات وكذلك التدفقات المالية من النقد الأجنبى والعمالة وحجم التوظف الذى يتحقق من السياحة والتنمية والإستثمار ومصادر التمويل الداخلية والخارجية.

وكيفية العمل على تعظيم النتائج الإقتصادية من السياحة وإستعراض الجوانب السلبية والإيجابية من واقع تحليل المدخلات والمخرجات الإقتصادية والاستفادة من الحسابات اليومية لتحديد دور السياحة وفاعليتها فى الإقتصاد القومى والموازنة العامة للدولة.

٥- المدخل الإدارى Managerial Approach

ويتعلق هذا المدخل بدراسة أساليب إدارة المشروعات السياحية والإهتمام بابراز قضايا البحوث والتخطيط والتسعير والإعلان والرقابة وتطور الإنتاج وما شابه ذلك من مكونات علم الإدارة، والمنهج الإدارى يعتبر أكثر شمولا لأنه بطبيعة الحال يرتبط بالتغيرات الكثيرة والمتعددة التى تعرض لها العمل السياحى والموسسات العاملة فيه ودور الحكومات وإهتماماتها فى تنمية المواقع السياحية وتعظيم العائد السياحى والمحافظة على الموارد وحماية البيئة وكذلك دور المنظمات والهيئات فى حماية وتطوير المنتج السياحى فى مواجهة التطورات الدائبة فى ميدان المعلومات والنظم Glopal Distribu-tion System.

٦- المدخل المؤسسى Institutional Approach

وهذا المدخل يعنى بدراسة المؤسسات والتنظيمات التى تمارس النشاط السياحى مثل

وكالة السفر والسياحة ووشركة النقل وإقتصاديات التشغيل فى كل منها، وأماكن الإقامة وغير ذلك من المؤسسات العاملة فى القطاعات السياحية، ويعنى هذا المدخل بدراسة القواعد المنظمة للعمل وطرق التشغيل والوظائف والمهام الموجودة بالمؤسسة وكذلك لا لمسائل المتعلقة بالتكاليف والربحية.

٧- دراسة المنتج Product Approach

ويتعلق ذلك بدراسة مختلف المنتجات السياحية من حيث الإعداد والتسويق ولإستهلاك بمعنى أن هذا المدخل يعنى بدراسة الخدمة التى تقدمها المؤسسة على سبيل المثال خدمة النقل فى الطائرة أو السفينة أو وسيلة النقل البرى .. ألخ.

كيفية أعداد الخدمة المطلوبة وأساليب التمويل والإدارة والإعلان والعلاقة بين المشترين والبائعين والعوامل الموثرة على تحديد الأسعار ويمتد هذا المدخل ليشتمل خدمة تأجير السيارات وخدمات الإقامة وتقديم المإكولات.

٨- المدخل النسق System Approach

من عرضنا لأساليب الدراسة السابقة جميعاً يظهر لنا بوضوح أن السياحة فى حقيقتها ما هى إلا نسق System يضم عناصر ومكونات متداخلة ومتكاملة ويكون كل منها نسقاً فرعياً Subaystem هكذا، ولذلك كانت السياحة والدراسات الخاصة بها تتطلب إتباع المنهج النسقى الذى يقوم على توظيف كافة المناهج فى مدخل واحد أو بوتقة واحدة بأسلوب جامع شامل يتعرض للمسائل الكلية Macro والمسائل الجزئية Micro على حد سواء، بمعنى يمكن دراسة المؤسسة السياحية من ناحية المزايا التنافسية وأسواقها وقدراتها التسويقية فى تحديد العرض وأجتذاب الطلب ونتائج كل ذلك مع نظرة واضحة بالعلاقة بالمؤسسات الأخرى والمستهلك بالإضافة إلى دراسة الوضع السياحى والمنظومة السياحية على المستوى القومى ومن خلال المنظومات الأخرى السياحية والتشريعية والإقتصادية والإجتماعية.

ويهتم هذا المنهج النسقى بالنظر إلى السياحة Business of Tourism لمشروع قومى يرتبط بالتوجيهات السياسية والإقتصادية والإجتماعية فى الدولة والأهداف القومية

المطلوب تحقيقها فى إطار المحددات Constraints الإقتصادية والاجتماعية الموجودة والتى يمكن أن تفرض معالم محددة وخطوطاً واحدة يجب الألتزام بها عند صياغة السياسة السياحية فى البلاد وتوزيع المشروعات وأساليب التمويل المحلى والدولى والحدود التى يجب مراعاتها وأساليب إدارة المشروعات والعلاقة بين حجم الإستثمارات وحجم العمالة وفى النهاية العلاقة بين السياحة الوطنية والسياحة الأجنبية.

٩- المدخل المتعدد الجوانب Multi Deciplenary Approach

تشير الملامح العامة لظاهرة السياحة أنها تتضمن جميع أوجه المجتمع من الناحية الاقتصادية والإجتماعية والثقافية لذلك نجد أن هذا المدخل يعنى بدراسة كافة الجوانب المرتبطة بالسياحة (النواحى الإقتصادية والسياسية والثقافية والتشريعية والبيئية ...) أى ضرورة توظيف كافة المناهج والمداخل للتعرف على حقيقة وأبعاد أى مشكلة أو قضية سياحية بحيث يتم دراستها من زوايا مختلفة.

ثالثا: منهج البحث فى علم السياحة

★ علام يقوم العلم؟

لا يقوم العلم على الوقائع والظاهرات، وإنما يستند العلم إلى المنهج أو الطريقة التى بمقتضاها يعمل العلماء لفحص ظواهر العالم ودراسة طبيعة الوجود، وذلك بقصد المعرفة والتنبؤ prediction ، ومحاولة القبض على الظواهر أو ضبط control الوقائع، والتعبير عنها فى قضايا علمية محكمة وصبغ رياضية مضبوطة. وبكلمات أكثر بساطة، إن المنهج العلمى، هو عملية مشاهدة وتصنيف وتفسير، أى، أن نظرية البحث العلمى، إنما تبدأ أولا بالوصف الدقيق، ثم التصنيف المحكم ، وعقد المقارنات المضبوطة، ثم تحليل الظاهرات وتفسيرها، والتعبير عنها بلغة العلم والكم والقياس، التى هى لغة الرياضة . (٧)Mathematics

★★ اذا ماذا نعنى بالمنهج؟

أن كلمة منهج Method تعنى فى اللغة طريقة أو وسيلة كما انها تعنى منهج وعليه يمكن الاتفاق على أن كلمة منهج يمكن أن تعنى وسيلة أو طريقة.

فأننا لا يمكن أن نتعرف على طبيعة المنهج أو الطريقة المتبعة فى الدراسة أو تعريفها بمنأى عن العلم فالمنهج أكثر ما يكون التصاقاً بطبيعة الفرع المعين من فروع العلم.

ونحن بصدد دراسة علم السياحة يتبين لكى يكون النشاط السياحى للجهاز الرسمى وزارة السياحة علمياً فمن الواجب أن يقوم بتحليل الاتجاهات السياحية الدولية بصورة علمية متعمقة، وأن يتحرى مدى توفر عامل من العوامل المؤثرة فى المد السياحى التى يمكن ادارجها على النحو التالى :

- مقدار المسافة من الاسواق المصدرة للسائحين.
- نوعية وسائل النقل.
- نوعية الخدمات.
- نوعية التسهيلات.
- الخصائص الطبيعية الملائمة.
- مقدار تنوع المغريات السياحية.
- مدى كفاية مجهودات التسويق السياحية.
- مدى الاتصال بشركات السياحة ومنظمى الرحلات فى الاسواق المصدر للسائحين.
- الضيافة وهى تعنى: اتجاهات الشعب نحو الأجانب.
- الموقف السياسى للدولة.
- علاقتها مع دول الجوار.
- السياسة السياحية للدولة ذاتها .... الخ.

وأن يصنف هذه العوامل بحسب انتاجها فى الحركة السياحية طبقاً لقانون السبب والنتيجة، بحيث يخرج بنتائج تحدد استراتيجية العمل السياحى فى المستقبل لتحقيق اهدافه وهذا يتم باستخدام المنهج العلمى.

أن المنهج العلمى فى مجال السياحة هو مجموعة الخطوات أو القواعد العلمية المحددة التى يلجأ إليها الباحث السياحى وهو بصدد تناول ظاهرة سياحية بالدراسة بشرط أن تكون هذه الخطوات قابلة للتكرار أو الاعادة بما يمكن الباحث أو غيره من الباحثين من اعادة نفس البحث للتأكيد من صدق النتائج التى توصل إليها فى دراسة. (٨)

وجدير بالذكر أن هذه الخطوات العلمية فى السياحة. رغم تناولها لها بالدراسة بطريقة منفصلة لكل خطوة.. الا اننا لا نتصور أن يحدث ذلك بشكل تعسفى اثناء الدراسة السياحية.. ولكن الفصل بين الخطوات السياحية هنا هو يهدف للدراسة والتوضيح فحسب... إلا أن هذه الخطوات فى الواقع إنما تمثل فى النهاية كل متكامل فى اطار منظم يبدأ باختيار المشكلة السياحية وتحديدها وينتهى بعرض نتائج البحث وتفسيرها.

★★★ تنظير علم السياحة

لا أقصد بتنظير علم السياحة أنه اقوم بعملية سرد تاريخى لمختلف نظرياته، وإنما قصدت بتنظير علم السياحة، ومحاولة دراسة الأسس والقواعد التى يقوم عليها، عن طريق تأصيل علم السياحة ومناقشة فروض وقضاياه الأولية.

للعلم اذا جانبان:

١- الجانب الحسى، يتمثل فى البحث التجريبى الأمبيريقى.

٢- الجانب العقلى المجرد، يتمثل فى النظرية.

فالجانبات متداخلان ومتفاعلان ولا يمكن فى الواقع الفصل بينهما. فالملاحظة الحسية التى يجريها الباحث فى السياحة عند قيامه ببحوثه لاتبدأ أبداً من فراغ ولكنها تسترشد دائما بأفكار مستمدة من نظرية تلخص وتجمل وتربط بين حقائق ثم التوصل إليها من ملاحظات سابقة. كما أن نتائج الملاحظات الحسية التى يجريها الباحث تتم معالجتها منطقيا وتضاف إلى النظرية العلمية. أى أن العقل يرشد دائما أعضاء الحس إلى ما يجب أن تلاحظه وكيفية ملاحظته، كما أن أعضاء الحس تزود العقل بالمادة التى تمكنه من الوصول إلى الاستنتاجات.

وهذا التفاعل الجدلى الوثيق بين الخبرة الحسية متمثلة فى البحث والتحليل العقلى متمثلا فى النظرية خاصية أساسية للعلم ناجمة عن المنهج العلمى. (٩)

مما سبق يتبين انه ما من بحث علمى يمكن تطبيقه دون الاسترشاد بنظرية علمية ودون أن يسهم فى هذه النظرية ، كما أنه ما من نظرية علمية صادقة يمكن أن تتكون وتدخل فى نطاق العلم ما لم تعتمد على نتائج بحوث علمية ودون أن توجه إلى المزيد من البحوث.

والسؤال الذى يطرح نفسه علينا هو: ما هى النظرية ؟ وما هى خصائصها؟

يعرف (كير لنجر) Kerlinger النظرية بأنها «مجموعة من المفاهيم والمدركات المترابطة، والتعريفات، والفروض، والتى تقدم - فى جملتها - رؤية منظمة لظاهرة ما وذلك عن طريق تحديد العلاقات بين المتغيرات، بهدف شرح تلك الظاهرة والتنبؤ بها».

بمعنى تجمع النظرية - فى كيان واحد أو فى إطار مفاهيمى شامل - كل البيانات الإمبريقية المتفرقة بحيث تجعلها قابلة للتطبيق بشكل أوسع وأعم . (١٠)

ويعتبر (مولى) Mouly عن ذلك بقوله (النظرية هى ضرورة مريحة، حيث إنها تجمع، وتنظم مجموعة مبعثرة غير مصنفة من الحقائق، والقوانين، والمفاهيم، والمدركات، والمبادئ ، وتقدمها فى شكل متكامل، له معنى يمكن الإفادة منه، وتتضمن عملية التنظير محاولة خلق معنى لأشياء نعرفها - مثلا - عن ظاهرة معينة. (١١)

وتعتبر النظرية نفسها، مصدراً لمعلومات واكتشافات جديدة، فهى مصدر لفروض جديدة ولأسئلة تحتاج إلى إجابات، وكثيراً ما تسد النظرية فجوة فى معلوماتنا عن ظاهرة ما، وتمكن الباحث من أن يفسر ظواهر لم تكن معروفة له من قبل. وتؤدى النظرية إلى أربعة وظائف جوهرية فى العلم يمكننا ادراجها على النحو التالى:-

أ - تحديد مجال العلم.

ب- تحديد أوجه النقص فى المعرفة بالظاهرات موضوع الدراسة.

حـ - تقديم أطار تصورى لجمع الوقائع وتنظيمها.

د - تلخيص الحقائق وما بينها من علاقات.

(أ) تحديد مجال العلم

تحديد النظرية نوع المادة أو الوقائع التى جمعها عن الظاهرة المدروسة، فلو كانت

الظاهرة المدروسة مثلا عن نمط من انماط السياحة - سياحة السفارى - سوف توجه العالم السياحى لجمع حقائق عن أنماط العرض والطلب التى تتصل بتسويقها بوصفها سلعة. كما توجه العالم السياحى لجمع حقائق تتعلق بالانشطة السياحية المتصلة بها.

(ب) تحديد أوجه النقص فى المعرفة بالظاهرات مو ضوع الدراسة

نحن لا نستطيع أن نعرف ما بنقصنا فى أى مجال الا اذا عرفنا ما هو متوفر لدينا. ولما كانت المعرفة العلمية متزايدة باستمرار فان تلخيصها وتنظيمها بشكل مكثف يساعدنا على استيعابها وبالتالى ادراك ما نجهله. وعلى هذا فان النظرية العلمية - للسياحة - تزودنا بتساؤلات جديدة يسعى الباحث للاجابة عليها. وكلما أضافت البحوث معرفة جديدة إلى النظرية العلمية كلما أثارت أيضا تساؤلات جديدة.

(حـ) و ضع اطار تصورى لجمع الوقائع وتنظيمها

أن أى ظاهرة من الظاهرات تضم عدداً لا نهاية له من الاحداث، والباحث لا يستطيع ملاحظة كل هذه الاحداث. فعلى الباحث معرفة عما هو جوهرى أو ثانوى من هذه الاحداث، ولابد وأن يكون فى زهن الباحث تصوراً أولياً العلاقات المختلفة بين هذه الاحداث.

ويجب أن يدرك العلاقة التبادلية بين الأطار التصورى وبين الملاحظات الحسية، فمع أن الاطار التصورى يوجه الباحث إلى ما يجب عليه ملاحظته، فان ملاحظته قد تؤدى إلى تعديل هذا الاطار ذاته.

(د) تلخيص الحقائق وما بينها من علاقات

الملاحظات التى يتوصل إليها الباحث لا يكون لها معنى ما لم يتم استخلاص مبادئ أو أحكام عامة منها وتلخيص هذه الملاحظات يؤدى بنا لمفهوم واحد.

فالنظرية اذا بما تحتوى عليه من مفهومات وفروض وقضايا وأحكام وقوانين هى فى نهاية الأمر تلخيص وتكثيف لنتائج الملاحظات التى توصل إليها العلماء من خلال بحوثهم، وبدون النظرية تصبح الحقائق التى يجمعها العلماء من خلال ملاحظاتهم حشداً هائلا غير منظم وغير مفيد من الملاحظات.

ولكى نبنى نظرية السياحة على أساس علمى فلابد من تحليل وتشريح الظاهرة السياحية لإبراز عناصرها الأولية والاساسية. والاعتبارات الدافعة للسفر واتجاهات الحركة السياحية وجمعها وهى عناصر لا تقوم بدونها السياحة.

فمن الناحية العضوية يمكن تجريد الظاهرة السياحية إلى العناصر التالية. (١٢)

★ عنصر حركى Dynamic وهو فعل الانتقال من مكان لآخر (الرحلة).

★ عنصر ثابت Static وهو الإقامة فى الدولة أو الاقليم المسافر إليه، وثبات هذا العنصر ثبات نسبى فمن الممكن أن يتضمن انتقالات أو زيارات داخلية.

★ العنصر البشرى : هو العنصر الذى يقوم بعنصرى الحركة والثبات.

★ مجموعة العناصر الظرفية: وهذه العناصر تتكون من:-

- عناصر تاريخية وحضارية.
- عناصر طبيعية بيئية (ايكولوجية).
- عناصر التسهيلات والخدمات السياحية كاستقبال السائحين، الضيافة الجيدة.
- عناصر تنظيم وإدارى.
- عناصر النقل السياحى ووسائله.

ويجب تفسير الظاهرة السياحية - فى ضوء العناصر سابقة الذكر على أساس قانون السبب والنتيجة - فالتأثير المتبادل بين هذه العناصر بالتطبيق على دولة معينة هو مجال حيوى من مجالات البحث السياحى المتعمق.

★★★★ الخصائص النظرية الجيدة

قد حدد (مولى) Mouly (١١) الصفات أو الخصائص التى ينبغى توافرها فى النظرية الجيدة . ويمكن استخدام هذه الخصائص كمعيار للحكم على مستوى النظرية وهذه الخصائص يمكننا ادراجها على النحو التالى:

١- يجب أن يتيح نظام التنظير الفرصة للاستدلال، واستنتاج نتائج، يمكن اختبارها

امبريقياً، بمعنى أن النظرية تمدنا بالأساليب التى نكشف بها عن مدى صحة هذه الاستنتاجات وبناء على ذلك ... إما أن تقبل وتتأكد صحتها، وإما أن ترفض.

ويمكن القول بأنه لا يمكن التأكيد من صدق نظرية معينة إلا من خلال صدق الفروض التى تستمد من هذه النظرية. فإذا فشلت المحاولات المتكررة لإثبات عدم صحة هذه الفروض والتشكيك فيها... فإن ذلك يؤدى إلى ثقة كبيرة بصدق النظرية ذاتها، وقد تستمر هذه العملية إلى ما لا نهاية، حتى تصادف بعض الفروض التى يثبت عدم صحتها، وهنا يصبح لدينا دليل غير مباشر على قصور النظرية، وقد ترفض - عندئذ - كلية أو فى معظم الأحوال استبدال النظرية بنظرية أخرى أكثر كفاءة بحيث تحتوى على كل الحالات حتى الاستثناءات.

٢- لابد من أن تكون النظرية متمشية مع كل من الملاحظات المباشرة، والنظريات السابقة التى ثبتت صحتها وتأكيدت ، فيجب أن تقوم أية نظرية على بيانات أمبريقية ، سبق التأكد من صدقها، كما يجب أن ترتكز على مسلمات رصينة وفروض مهمة.

ويتوقف مستوى جودة النظرية على قدرتها على شرح الظاهرة موضوع الدراسة، وأيضاً على كم الحقائق التى تحتويها تلك النظرية، بحيث تكون فى مجموعها بنياناً له معنى، ويكون قابلا للتعميم بشكل كبير.

٣- يجب أن تصاغ النظريات بأسلوب بسيط، وقد يتمثل معيار الحكم على جودة النظرية فى قدرتها على شرح أكبر قدر ممكن بأبسط الطرق الممكنة . وهذا هو قانون الاقتصاد Parsimony ، حيث يجب على النظرية أن تشرح البيانات - بكفاءة كبيرة - وفى الوقت ذاته ، لا ينبغى أن تكون من الشمولية، بحيث تفقد السيطرة على مكوناتها فتقل كفاءتها، ومن ناحية أخرى.. لا ينبغى أن تغفل شرح بعض المتغيرات لمجرد أنها متغيرات يصعب شرحها.

★★★★ مراحل استحداث النظرية الجديدة

ننتقل الآن إلى اهتمامنا الأساسى، وهو المناهج والطرق فى البحث السياحى: فعندما نستخدم مصطلح المنهج Method .. فنحن نعنى الأساليب والمداخل المتعددة المتاحة

للباحث السياحى والاجراءات التى تستخدم فى جمع البيانات والتى سيصل من خلالها إلى نتائج أو تفسيرات أو شروح أو تنبؤات. ويتطلب البحث العلمى بعض المراحل لنشؤ النظرية ويمكننا ادراجها على النحو التالى:-

١- الملاحظة (المشاهدة)

الملاحظة اذا هى اداة البحث الاساسية وهى التى يعتمد أى باحث عليها فى جمعه للمعلومات، غير أن الباحث العلمى فى جمعه للمعلومات عن طريق الملاحظة يختلف عن الشخص العادى الذى يلجأ للملاحظة فى حياته اليومية فى كل شئ وذلك من حيث مراعاة الباحث للدقة للوقائع والحادثات والظواهر فى جمعه لملاحظاته وتسجيلها وتحليلها.

وتتطلب الملاحظة أو المشاهدة العلمية المقصودة اجراءات تضمن دقتها ودلالتها بالنسبة للمشكلة موضوع البحث ومن هذه الاجراءات.

أ- أعداد استمارة الملاحظة أو المشاهدة

وهذه الاستمارة تحدد للباحث ما سيقوم بملاحظته فى المواقف التى يدرسها وتكون هذه الاستمارة عامة جداً أى تتضمن فقط جوانب رئيسية فى الدراسات الاستطلاعية التى تجرى فيها ملاحظات غير محددة وتكون استمارة محددة أى تتضمن عناصر تفصيلية لما سيقوم الباحث السياحى بملاحظته .

ب- تسجيل الملاحظة أو المشاهدة

لابد للباحث من أن يسجل ملاحظاته بدقة بقدر الامكان وأن يميز فى هذ التسجيل بين الوصف الموضوعى لما يلاحظه وبين انطباعاته عن الاشياء أو الاحداث التى يلاحظها. وتعتمد كيفية التسجيل على طبيعة مشكلة البحث من جهة وعلى طبيعة الموقف الذى يلاحظه من جهة أخرى مالتسجيل الفوتوغرافى - التسجيل لملاحظاته كتابه - والاحتفاظ بالملاحظات فى ذهنه ليقوم بتسجيلها فى أقرب فرصة.

حـ - التأكد من صدق الملاحظة أو المشاهدة

فان على الباحث التأكد من صدق ملاحظاته وذلك عن طريق مقارنتها بملاحظات

سابقة له، أو مقارنتها بملاحظات غيره من الباحثين، أو عن طريق تكرار هذه الملاحظات أكثر من مرة. كما على الباحث أن يحدد بدقة معنى العبارات التى تستخدم فى الوصف.

٢- تحديد المشكلة

المشكلة: هل حددت المشكلة بوضوح؟

فمن المهم جداً - فى البحوث السياحية - البدء بمشكلة واضحة ومحددة، فإذا قلنا أن البحث السياحى صعب، فينبغى ألا نزيده صعوبة بمشكلة هلامية غير واضحة. فعلى الباحث السياحى اكتشاف نظام العلاقة التى تربط الوقائع التى لحظها من الملاحظة بعضها بالبعض وعليها تشخيص المشكلة وتحديدها. وهل يمكن تناول المشكلة المطروحة وحلها؟ هل هى فى مقدور الباحث العلمى والمادى؟.... الخ.

يتضمن مفهومنا عن تحديد المشكلة أكثر من جزئية خاصة تسهم بقدر فيما نعنيه هنا.. ومن هذه الجزئيات نجد:

أ- التعرف على المشكلة واختيارها

أن السياحة سواء فى ماضيها أو حاضرها.. مليئة بالمشكلات التى تمس جوهر السياحة بشكل مباشر أو غير مباشر.. وكثير من هذه المشكلات جديرة بالبحث والدراسة.

أما ما نعنيه بتحديد المشكلة:.. فهو أن يقوم الباحث باختيار جزئية محددة أو أكثر من جزئيات المشكلة دون غيرها... ويكون الاختيار هنا مرده إلى مدى أهمية هذه الجزئية بالقدر الأكبر عن غيرها من الجزئيات أو انه يرى ذلك على الأقل. على أن يكون له فى ذلك مبرراته العلمية.

ب - تحديد المتغيرات المعنية بالدراسة

بعد أن يكون الباحث قد تعرف على المشكلة التى سيتناولها بالبحث واختارها من أى سبيل من السبل التى سيكون عليه بعد ذلك أن يحدد ماذا سيدرس فى هذه الظاهرة على وجه التحديد وأهمية هذا التحديد تتمثل فى الاتى:

اختصار الوقت والجهد المبذول للوصول إلى نتائج على درجة عالية من الدقة والموضوعية بما يزيد من ثراء الدراسة وقيمتها فى خدمة قطاع السياحة.

حـ- تحديد المفاهيم وتعريفها

أن وضع تعريف للمفهوم سواء كان نظـريا .. أو اجرائياً، لابد وأن يراعى فيه الباحث الدقة والتحديد والوضوح والشمولية بمـا يوضح المقصود وراء المفهوم دون ما تداخل مع غيره من المفاهيم وان يكون شاملا لكافة ابعـاد المفهوم ما أمكن ذلك... وأن يحتمل اللفظ الموضوع فى التعريف معنا محدداً... وهذا ما نعنيه بالدقة والتحديد والوضوح.

كما لابـد عند وضع التـعريف امكـانية تحويل المـعانى النظـرية بالمجردة إلـى خطوات اجرائية يمكن قياسها بالوسائل العلمية المنهجية.

٣- و ضع الفروض

بصياغـة المشكلة، وبتحـديد سؤال البحث أو اسئلـته.. تصبح بقيـة الإجراءات أسهل كثيراً وعندئذ.. توضـع - أو تبنى - الفروض ، وبعدها يوضع تصور لطـريقة التحقق من صحتـها، ويتم ذلـك غالباً مـن خلال إجراءات تجريـبية، وخلالـها.. قد يتـضح للبـاحث ضرورة تغـيير أبعاد المـشكلة، وبالـتالى.. تغيـير الفرض الأساسـى، وذلك بتوسيـع أبعاد المشكـلة وحدودها، أو بتـصنيفهـا واختصار بعض جـوانبها، وقد يـصل الأمر إلى تغـيير الفرض نهائيا ووضـع فرض آخر . أخيراً - وليس آخراً - تختبر العلاقـة المشار إليها فى الفـرض عن طريق المـلاحظة والتـجريب. وعلـى أساس دلائل ونواتج الـبحث... يقـبل الفرض أو يرفض. وترجع هـذه النتائج إلى المشكلة الأصلية، وبـناء على ذلك .. فإما أن تظل المشكلة، وإما أن تعدل .

٤- البيانات

هل تتوافر بيانات من مصادر أولية بدرجة كـافية لاحتياجات البحث؟ أم كان الاعتماد علـى مصادر ثانـوية. أم مصادر غـير موثـقة؟ وبقدر مـا يجمـعه الباحـث من معلـومات وحقائق ويبدأ فى تصنـيفها وترتيبها، بقدر ما يصبح البـحث أقرب للاجابة عن تساؤلات التى طرحت.

٥- التحليل

هل تأكد الباحث - بطـريقة تحليلة دقيقة - من صدق البيـانات؟ وهل تأكد من ارتباط البيانات بمشكلة البحث ارتباطاً وثيقاً؟

٦- التفسير والتعميم

هل يتضح تمكن الباحث من بياناته وقدرته على الحكم على أهميتها النسبية؟ هل يلتزم الباحث بالموضوعية؟ هل فروض البحث سليمة ومنطقية؟ هل تم اختيار صدق الفروض بالطرق المناسبة؟ هل تنبه الباحث إلى الربط بين بحثه وبياناته ونتائجه، وبين ما هو موجود ومعروف من معلومات سياحية متفق عليها؟ هل تم اكتشاف السمات المتكررة والعلاقات المتطابقة بين هذه الحقائق والتى يمكن أن يضعها فى صورة قوانين علمية ثابتة.

٧- الاختيار والتحقيق

أن الطريقة العلمية تبدأ بوعى وبقصد، بالاختيار من بين مجموع المكونات أو التغيرات المتداخلة، أو المكونة لحالة معنية - تناسب المتغيرات التى يتخيرها الباحث لتشكيل أو لتكوين علمى أى إن لتلك المتغيرات خصائص كمية quantitaive وتكون أداته البحثية الأساسية هى فروضه التى - كما سبق أن ذكرنا- هى عبارة عن عبارات تشير إلى وجود علاقات (أو عدم وجود علاقات) بين اثنين أو أكثر من المتغيرات المختارة، وهى عبارات مصاغة بوضوح، بحيث يمكن اختيارها وقياسها. بعد ذلك... بتخير الباحث أنسب الطرق ليختر تلك الفروض وهذه هى آخر مرحلة من مراحل تكوين النظرية فاذا نجح فى ذلك فانه يكون قد توصل إلى نظرية علمية مقبولة.

ومجمل القول : فالسياحة ظاهرة انسانية تتصل اتصالا مباشراً بالانسان (السائح) فان هناك ما يؤثر على السائح مما يدعوة لزيارة بلد أو اقليم بعينه دون غيرة. ولذلك فان دراسة واعية للحاجات الانسانية وتدرجها سواء أكانت حاجات أساسية أو حاجات مكتسبة، وللدوافع للسفر وهى سلسلة متراكبة من النبضات السكولوجية والاجتماعية، وكل ذلك أمر واجب لتفسير النظرية السياحية. كما تتضمن عملية التنظير محاولة خلق معنى لاشياء نعرفها أو لا نعرفها فى المجال السياحى وتساعدنا على الوصول إلى وضوح الرؤية، والتركيز على القضايا الاساسية فى طبيعة الظاهرة السياحية.